هيرمنيوطيقيا اللون اللون في عالم الغيب (دراسة في المعنى القرآني)

الاستاذ الدكتور زينب جاسم محمد
جامعة الكوفة - كلية التربية الأساسية
zainabj.alardawi@uokufa.edu.iq

Hermeneutical color color in the world of the unseen (study in the meaning of the Koran)

Prof. Dr. Zeinab Jassim Mohammed.

الملخّص :

تعالج الدراسة (هيرمنيوطيقيا) اللون تأويله، والنظر إليه بوصفه معنى قرآنيا يتضمن دلالة ، وإيحاء يكمن في رمزيته التأويلية التي لم تُفرغ بعد من مقاصدها الكامنة وراء تلك الرموز، واللون عنصر فاعل في الحياة البشرية منذ أن خلقها الله تعالى ، فهو حقيقة ابتدأت مع بدء الكون ولازالت مستمرة، ورد اللون في القرآن الكريم في الآيات التي تتعلق بالغيب أي ما غاب عن الإنسان في الحياة الدنيا، فالغيب من علم الله تعالى ولا علم للبشر فيه، إلا فيما عرضه القرآن الكريم من صور حسية، ومشاهد لهذا العالم تجسد فيها اللون في عرض صوري لحقيقة الثواب والعقاب، وأمور غيبية أخرى ، ولابد من ذكر اللون في هذه المواضع من دلالة ، ومعنى تختلف باختلاف السياق الذي ترد فيه ؛ فقد عني البحث بالدلالة اللونية التي تنسجم مع أساليب الترغيب للمؤمنين بالثواب الواردة في آيات النعيم والجنة والمواضع التي فيها ثواب للمؤمنين ، وكذلك ما ورد في الآيات التي فيها صور ومشاهد يوم القيامة ،وعذاب الكافرين في النار وترهيب للكافرين بالعقاب؛ فالنفس الإنسانية تتفاعل مع كل الوسائل التي فيها ترغيب أو ترهيب ، ولتلازم الدلالة بين اللون وعالم الغيب له أطر وعلاقات في الذات الإنسانية تنتقل معه في العالم الآخر، فالاستعمال القرآني للون محفوف بمجموعة من المعطيات الدلالية ذات الإيحاء الدلالي المتحرك نحو توسيع هذا المفهوم الذي يهدف إلى إصلاح الفرد .

الكلمات المفتاحية: هيرمنيوطيقيا – اللون – المعنى القرآني – الترغيب – الترهيب .

Abstract:

The University of Kufa / Faculty of Basic Education The study (Hermenotica) deals with color interpretation, and looking at it as a recipe for a Quranic meaning that implies connotation and inspiration lies in its declarative symbolism which has not yet been emptied of its underlying purposes. Since the creation of God, it is a fact that began with the start of the universe and continues, and the color in the Holy Quran in the verses that relate to the unseen, which is absent in the human life in this world, the unknown of the knowledge of God and no knowledge of humans, From sensual images, and scenes of this world embodying color In my presentation of the truth of reward and punishment, and other mystical things, I seek to encourage the believers to reward, and the issue of intimidation of the unbelievers by punishment; the human soul interacts with all the means of encouragement or intimidation, and the connotation between color and the world of the unseen has frameworks and relationships in self The use of Quranic color is fraught with a set of semantic data with a semantic, moving implication towards the expansion of this concept, which aims to reform the individual.

Keywords: Hermeneutics _ color _ Quranic meaning-Intimidation .

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل من عليين كتاباً بليغاً معجزاً إماماً وهدى ونوراً للمتقين والصلاة والسلام على النبي المصطفى محمد-ﷺوآله-

يقوم هذا البحث بدراسة المعنى القرآني للألوان في (عالم الغيب) في الآيات الكريمة التي تضمنت مشاهد ، وصور حسية للون في الآخرة سواء في صور النعيم في الجنة أو مشاهد القيامة وصور العذاب في النار للكشف عن الغاية من ذكر اللون فيها ، والوقوف على التلازم الدلالي بين اللون ، والأطر والعلاقات في الذات الإنسانية التي تنتقل معها في العالم الآخر ؛ فمعاني اللون ، ودلالاته ترتبط بعقائد العرب ونظرتهم الفلسفية له ، وأن ذكر اللون في هذه الآيات يحمل قصدية لا تتمثل في الدلالة الكامنة فيه بل للإيحاء والإشارة بما يحمله النص من معنى يكشف عن غايته التي يحددها سياق النص ، وتأويله وإدراك معانيه ، إن لتأويل الدلالة اللونية في سياق هذه الآيات يحمل دلالتين دلالة الترغيب ، والتشويق ، ودلالة الترهيب والتخويف ، ولكل واحد منهما وسائل إبلاغ ، وإقناع ؛ لإصلاح الفرد من خلال الأساليب التي تتفاعل معها النفس الإنسانية وتميل إليها وهي من أساليب التعبير القرآني التي تعكس مظهر من مظاهر الإعجاز القرآني.

تمهيد : (**هيرمنيوطيقيا اللون في عالم الغيب**)

الهيرمنيوطيقيا : هي فن التأويل وأصل اشتقاقها من اللفظ اللاتيني (hermeneutike) أي " الإله الوسيط بين الآلهة والناس ،يفسر لهم ويشرح المرمزّ ويفك الطلاسم "[١] وقد أشار أرسطو إليها بقوله: " أن كل إنسان يستنشق طبيعياً المعرفة " فالإنسان بالفطرة السليمة لديه الرغبة بالفهم أو تفسير ما يجري حوله ، ومعرفة ما يحيط به ، ولو رجعنا إلى التراث العربي نجد أن الدارسين العرب قد عرفوا هذا المفهوم وكان يتأرجح بين الفهم ، وجودة الفهم فقد حدَّ الشريف الجرجاني الفهم بأنه " تصوّر المعنى من لفظ المخاطب "[٢]، فهو يعني إدراك المعرفة من خلال التفكير الذهني بما يتلقاه الفرد من علوم أو أفكار أما جودة الفهم هي " صحة الانتقال من الملزومات إلى اللوازم "[٣] ولا يكاد يبتعد كثيراً عن تعريف المَفْهُوم الذي هو " الصُّورَة الذهنية سَوَاء وضع ، بإزائها الْأَلْفَاظ أَو لَا ، كَمَا أَن الْمَعْنى هُوَ الصُّورَة الذهنية من حَيْثُ وضع بإزائها الْأَلْفَاظ .... وَقيل: هُوَ مَا دلّ عَلَيْهِ اللَّفْظ لَا فِي مَحل النُّطْق "[٤] من هنا نجد التهانوي تـ ١١٥٨هـ ،

جعل المفهوم والمعنى واحد فهما " الصورة الحاصلة في العقل أو عنده مختلفان باعتبار القصد والحصول. "[٥]

أما عند الدارسين الغربيين فالفهم هو نوع من أنواع الجمال أو التفكير وله علاقة بالعملية القصدية الشعورية، ويتعلق بالحكم والمفهوم...وهو يتعلق من الناحية اللسانية بالتواصل ويحدّد على أساس الاستقبال ، ومن الوظائف التي يؤديها التأويل، فك الشفرات ، والشرح ، والترجمة [٦] ؛فالفهم يتعلق بمقدار إدراك الفرد بعمل ما ، ومحاولة التوصل إلى الجانب اللامرئي منه ، وهو ضرب من ضروب المعرفة التي تتطلب "المعرفة الكاملة بلغة النص ، وقواعد تلك اللغة ، والتدقيق في طريقة استعمال المؤلف للمفردات ، والتراكيب اللغوية، والتعمق في الأسلوب الكتابي المستخدم في كل واحد من أقسام النص ،والظروف التي أحاطت بالمؤلف وهو ينشيء النص "[٧] ومن الأوليات الأساس في فهم معنى النص، وتقبله، وإدراك مضامينه هو عملية التفسير التي تنطق عن مفهوم النص، وتكشف عن مقاصده ، ومضمراته ؛ فالخطاب القرآني " كينونة قد تمثل على أنها المصدر العلوي عينه الذي يباشر ضمير المتلقي برسالة متكاملة ،لا تغفل منزعاً من منازع الحياة ، والوجود "[٨] واللون احد العناصر الفاعلة في حيان الإنسان ؛ فهو يتضمن دلالات ، وإيحاء ، ورموز له دلالات أخذت تستقر في ذهن الفرد وعلى هذا الأساس أخذت هذه الألوان ترتبط بما يحيط به ، وتتناغم مع ما يشعر به من فرح أو حزن أو تفاؤل أو تشاؤم الخ ..

أن الغاية التي تكمن من فهم المعنى الكشف عن قصدية النص ، والدلالة التي ينضوي عليها ؛ فعلم الدلالة " لا ينفصل عن فلسفة المعنى وعلم الإدراك لأنه يرتبط بالمعنى ، الذي هو أساس كل تواصل لغوي " [٩] والدراسة تهدف إلى كشف المعنى في الآيات الكريمة التي تتعلق بالغيب الذي يراد به كل ما غاب عنك فهو غيب[١٠]؛ فقد جاء في قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ ﴿البقرة :٣﴾ أي يؤمنون بما غاب عنهم وعلى وجه الخصوص ما ورد من ذكر اللون في الدار الآخرة ، ومشاهد القيامة ، وفي قصص الأنبياء التي ورد ذكرها في النص القرآني وكل مما غاب عن الإنسان وأشار إليه النص القرآني فـ " كل ما غاب عن العيون ، سواء كان محصلاً في القلوب أو غير محصل لذا

يقال تكلم عن ظهر غيب أو سمعت صوتاً من وراء الغيب من موضع لا أراه "[11] ؛ فالغيب من علم الله سبحانه وتعالى ولا علم للبشر فيه ، قال تعالى﴿ ۞وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ ﴿ الأنعام :٥٩﴾ إلا إننا نرى أن القرآن قد عرض صور، ومشاهد حسية لهذا العالم ، وقد جعل لها عوامل وأشكال تكاد تقترب من العالم الدنيوي للإنسان ؛ فنجد أن اللون عنصر حيوي في هذه المشاهد تفسح للتصور ، وللخيال أن يذهب أي مذهب إذ تستبد جمالية اللون لهذه الحقيقة (عالم الغيب) في العرض الصوري لحقيقة (الثواب ، والعقاب) ومشاهد القيامة، وأمور غيبية أخرى ، وقد ورد اللون في المعاجم العربية تحت جـــذر (لون) وقد أشار اللغويون إلى دلالة هذا اللفظ المعروفة له، فـ" اللون معروف وجمعه ألوان والفعل التلوين والتلون "[12] واتضحت دلالته عند الجوهري تـــ٣٩٣ هـ، إذ قال :" اللون هيأة كالسواد والبياض ،أو هيأة كالسواد والحمرة "[13] وهو معروف في تاريخ العرب قبل الإسلام وورد في نتاجهم الأدبي، لكن ظلت الإشارة له بما يحمله من دلالة أو إيحاء، فضلا عما يشير إليه من مظاهر البهجة والإيناس أو الحزن والتشاؤم ، وقد حدّه الزبيدي تـــ ١٢٠٥هـــ، بقوله :"اللون تكيف ظاهر الأشياء في العين أو هو كما قيل الكيفية المدركة بالبصر مـــن حمرة وصفرة وغير ذلك "[14] ، فاللون يسهم في تشكيل الفاعلية الدلالية بما يحمله من التأثير في الآخر ومقدار تكيف العين له بما ينماز به اللون من خاصية كالحدة أو الشفافية أو التضاد أو الجمال و ما يثيره من أحساس في المتلقي له .

أما في الاصطلاح هو " العلم الذي يبحث عن المدلول في الرسم وخصائصه ، وإضافته ، ونظمه ، أي قوانين التي تشمل عليها اللوحة من خلال انتظامها بالشكل العام "[15] وقيل هو ذلك " التأثير

الفسيولوجي الخاص بوظائف أعضاء الجسم الناتج إلى شبكية العين ، سواء كان نتاجها عن المادة الصباغية الملونة أو عن الضوء الملون ، فهو أحساس وليس له وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية "[16] فالألوان انطباع صوري في الذهن يعبر عن موضوعات الحياة وانفعالات الإنسان بها ؛ فمن شأن هذه الصورة أن تكون عنصراً من عناصر الترغيب،أو الترهيب، سواء أكان بطريقة مباشرة، أو غير مباشرة، أن ذكر اللون

في هذه الآيات من شأنه أن يعمق الإيحاء الفكري بأهمية هذا العنصر لما له من انطباع في ذهن المتلقي بوصفه الصلة بين الأفكار والأحاسيس التي تدفع بالإنسان تارة للتحبب ، والرغبة ، وتارة للخوف ، والرهبة ذلك لما يحمله اللون من إيحاء وعمق في الفكرة تنبني لغرض إصلاح الفرد وبناءه.ولو تتبعنا دلالة اللون في التاريخ العربي نجد له حضوراً في حياة العرب قديما في مختلف مجالات الحياة ، وأنهم على وعي تام بخصوصية الألوان وقد عبروا عن الألوان بدرجاتها المختلفة لذا يعد ملمحا على إحساسهم باللون وأنهم كانوا يمتلكون القدرة على التمييز بين الألوان المختلفة ، ولهم مقاييسهم في تمييز الجمال والإحساس به ، وجاءت في أدبهم لتعكس الإدراك التام لهذا العنصر في الحياة ؛ فالعربي " أدرك قدرتها على التعبير فاستعملها استعمالا موفقا ، واستخدم منها ما كان متفق مع أحواله وظروفه ونفسيته ، وقد ساعدت بيئته الطبيعية ، وما انتشر فيها من ألوان ، وتوزع من ظلال على توزيع هذه الألوان توزيعا سليما "[١٧] على الموجودات الطبيعية ، وما تحمله من اثر في حياتهم ،وإيحاء له دلالة رمزية في أفكارهم .

- الأثر الدلالي للون في الترغيب

من وسائل الإقناع والتأثير في القران الكريم أسلوب الترغيب فهو " كل ما يشوق الناس إلى الاستجابة للدين الحق ، والثبات عليه "[١٨] الذي يكون فيه توجيه الخطاب للمتلقي " بأسلوب يؤثر في

عواطفه ومشاعره لاستثارته ، ومن ثم مخاطبة أفكاره ودفعه إلى ما يكون فيه الخير والصلاح والابتعاد عما يكون فيه الشر والعذاب "[١٩] ، وهو من المفاهيم التي تهدف إلى " تحبيب الإنسان إلى فعل الخير إلى البشر والحسن وما يترتب على ذلك من عمل الخير والفعل الصالح الذي يترتب عليه حسن الجزاء وجزيل المثوبة في الدنيا والآخرة "[٢٠] ؛ فالنفس الإنسانية تتفاعل مع كل الوسائل التي فيها ترغيب ، واللون من أساليب التأثير في المخاطب فقد ورد في النص القرآني لترغيب السامع في المواضع التي يريد الله تعالى أن يحببها لقلوب المؤمنين أو هو وسيلة للطمأنينة لهم مما يواجهونه في الدنيا من الابتلاء والمصاعب؛ فقد ورد (اللون الأخضر) في قوله تعالى:﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ

ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ﴿الكهف : ٣١﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ ﴿الرحمن :٧٦﴾ وقوله تعالى : ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ﴿الإنسان :٢١﴾ فاللون الأخضر هو من أكثر الألوان استقراراً والإنسان يأنس له فهو رمز للخصب والرزق [٢١]، والنماء فهو يرتبط بدلالات متعددة تدل على الأمل والتفاؤل ويشعر الناظر إليه بالراحة والطمأنينة " فالسندس مارق من الديباج واحده سندسة وهي الرقيقة من الديباج، على أحسن ما يكون وأفخره، فلذلك شوق الله إليه. والإستبرق الغليظ من الديباج."[٢٢] فإضفاء اللون الأخضر لهذا النوع من الحرير ما هو إلا للتشويق والتحبيب للجنة وما فيها من النعم " وَالثِّيَابُ: جَمْعُ ثَوْبٍ،.وَاللَّوْنُ الْأَخْضَرُ أَعْدَلُ الْأَلْوَانِ وَأَنْفَعُهَا عِنْدَ الْبَصَرِ، وَكَانَ مِنْ شِعَارِ الْمُلُوكِ. " [٢٣] فالإشارة إلى اللون الأخضر فيه إيحاء إلى الاستقرار النفسي والطمأنينة ؛ فهو يرتبط بلون النبات الذي هو يزدهر بالحياة الخصبة لذلك كان اللون الأخضر من لباس أهل الجنة " ويلبسون أيضا ثيابا خضراء من السندس: وهو رقيق الحرير، والإستبرق: وهو غليظ الديباج، أو الحرير المنسوج بالذهب، والحرير الأخضر ترتاح العين عند إبصاره"[٢٤] فقد كان لارتباط لباس المؤمنين في الجنة باللون الأخضر له دلالة فهو " رمز للطبيعة الخضراء ، والحياة والتجدد والانبعاث الروحي ، ويضفي بعض السكينة على النفس"[٢٥] وذهب المفسرون المحدثون إلى القول بان الآية فيها إيحاء فالمراد بـ" الثياب الخضر كناية عن أبدانهم المثالية البرزخية، المتوسطة بين سواد هذا العالم وبياض العالم الأعلى، فإن الخضرة مركبة من سواد وبياض، والرقة والغلظ كنايتان عن تفاوتهما في مراتب اللطافة."[٢٦] وله أبعاد نفسية وهو الشعور بالراحة ، والسعادة ، والطمأنينة وهو ما وعد الله تعالى به المؤمنين والأبرار الذين أطاعوا الله ورسوله واتبعوا ما أمر به جل جلاله وابتعدوا عن نواهيه .

ونجد أن اللون يدل على البشارة فاللون الأبيض عند اليونانيين يدل على " الفرح والسرور"[٢٧] وهو في معظم تقاليد الشعوب " رمز للطهارة والشرف "[٢٨] وهو لون النقاوة والسلام [٢٩] في قوله تعالى :﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ﴿ ال عمران :١٠٧ ﴾ فقد جعل الله تعالى بياض الوجه صفة من صفات المؤمنين في الجنة

للتشويق والترغيب لهذا الجزاء ، وقد اختلف المفسرون بالمراد من البياض ؛ فقيل :" من ابيض- اليوم- قلبه ابيضّ- غدا- وجهه ، ومن كان بالضد فحاله العكس.ويقال من أعرض عن الخلق- عند سوانحه- ابيضّ وجهه بروح التفويض، ومن علّق بالأغيار قلبه عند الحوائج اسودّ محيّاه بغبار الطمع فأمّا الذين ابيضت وجوههم ففي أنس وروح "[٣٠] وقيل : " لان رحمة الله إنما هي نعمته، وكل نعمة فانه يستحق بـها الشكر، وكل نعمة تفضل ، ولو لم تكن تفضلا لم تكن نعمة "[٣١] ومنهم من حمل البياض بمعناه الحقيقي فـ " تبيض وتسود، بكسر حرف المضارعة. و تبياض و تسوادّ، والبياض من النور، والسواد من الظلمة، فمن كان من أهل نور الحق وسم ببياض اللون وإسفاره وإشراقه، وابيضت صحيفته وأشرقت ، وسعى النور بين يديه وبيمينه "[٣٢] وقال بعض المفسرين " إنما تبيض فيه الوجوه للمؤمنين ثوابا لهم على الإيمان و الطاعة " [٣٣] وتأويل البياض بأنه الاشراقة لما يقوم به المؤمنون من أعمال العبادة والتقوى فـ " بياض الوجوه عبارة عن إشراقها واستنارتها وبشرها برحمة الله "[٣٤] وهو ما قال به القرطبي :" يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُبْعَثُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ تَكُونُ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ مُبْيَضَّةً وَوُجُوهُ الْكَافِرِينَ مُسْوَدَّةً. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ، إِذْ قَرَأَ الْمُؤْمِنُ كِتَابَهُ فَرَأَى فِي كِتَابِهِ حَسَنَاتِهِ اسْتَبْشَرَ وَابْيَضَّ وَجْهُهُ، وَإِذَا قَرَأَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ كِتَابَهُ فَرَأَى فِيهِ سَيِّئَاتِهِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ إِذَا رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ ابْيَضَّ وَجْهُهُ، وَإِذَا رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ اسْوَدَّ وَجْهُهُ "[٣٥] وقد ذهب بعض المفسرين لحمل المعنى على ظاهره بقوله :" وَفِي تَعْرِيفِ هَذَا الْيَوْمِ بِحُصُولِ بَيَاضِ وُجُوهٍ وَسَوَادِ وُجُوهٍ فِيهِ، تَهْوِيلٌ لِأَمْرِهِ، وَتَشْوِيقٌ لِمَا يَرِدُ بَعْدَهُ مِنْ تَفْصِيلِ أَصْحَابِ الْوُجُوهِ الْمُبْيَضَّةِ، وَالْوُجُوهِ الْمُسْوَدَّةِ: تَرْهِيبًا لِفَرِيقٍ وَتَرْغِيبًا لِفَرِيقٍ آخَرَ. ..وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ حَقِيقِيَّانِ يُوسَمُ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ خَاصَّانِ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ فَلَا دَاعِيَ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ...

قدّم عِنْدَ وَصْفِ الْيَوْمِ ذِكْرُ الْبَيَاضِ، الَّذِي هُوَ شِعَارُ أَهْلِ النَّعِيمِ، تَشْرِيفًا لِذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَنَّهُ يَوْمُ ظُهُورِ رَحْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَتِهِ، وَلِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَلِأَنَّ فِي ذِكْرِ سِمَةِ أَهْلِ النَّعِيمِ، عَقِبَ وَعِيدِ بِالْعَذَابِ ، حَسْرَةً عَلَيْهِمْ " [٣٦] ان دلالة اللون في النص الكريم تحمل أسلوب من أساليب الترغيب والتشويق " فنحن في مشهد هول. هول لا يتمثل في ألفاظ ولا في أوصاف. ولكن يتمثل في آدميين أحياء. في وجوه وسمات.. هذه وجوه قد

أشرقت بالنور، وفاضت بالبشر، فابيضت من البشر والبشاشة.."[٣٧] فالباري –عز وجل – أراد أن يصور حال المؤمنين وما هم فيه من الرحمة

والغبطة للتشويق في ما يناله المؤمن لقاء طاعة الله واجتناب نواهيه " أن لكل ما يفعله الإنسان في هذه الحياة آثاراً واسعة تبقى في روحه، وقد لا تدرك في هذه الحياة، ولكنها تتجلّى ـ بعد سلسلة من التحولات ـ في الآخرة، فتظهر بحقائقها الواقعية، وحيث إن جانب الروح يكون أقوى في الآخرة، إذ تشتد حاكميتها وسيادتها على الجانب الآخر من الكيان البشري من هنا يكون لتلك الآثار إنعكاساتها حتّى على الجسد، فتبدو الآثار المعنوية للأعمال محسوسة كما يكون الجسد محسوساً لكلّ أحد.فكما ان الإيمان والإتحاد يوجبان الرفعة وبياض الوجوه في هذا العالم "[٣٨] ؛ ففي إضفاء صفة البياض لوجوه المؤمنين شرح للصدور وسرور القلب للسامع وهو من وسائل الترغيب والإقناع للتمسك بأوامر الله تعالى والإكثار من العمل الصالح والابتعاد عن نواهيه .

ومن وسائل الترغيب استعمال اللون في الصور الحسية لأهل الجنة لتحقيق عنصر التشويق والترغيب للاستجابة للدين الحق وتحبيب الجنة وتصوير حال أهلها وما ينعمون به ، قال تعالى :﴿ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾﴿الصافات٤٥-٤٩ ﴾ ذهب المفسرون لبيان المراد بالبياض في هذه الآيات وما تضمنته من الصور الحسية ؛ فقال الفراء تـــــ٢٠٩هـ في قوله تعالى ﴿بيضاء لذّةٍ للشاربين﴾ : " يعني أن خمر الجنة بيضاء اللون ، وهي في قراءة ابن مسعود صفراء. ويحتمل أن تكون بيضاء الكأس صفراء اللون فيكون اختلاف لونهما في منظرهما "[٣٩] وجعل بعض المفسرين البياض للكأس لما له من جمالية ونسب بعضهم البياض للشارب تحبيباً له فقيل :" بَيْضاءَ" صِفَةٌ لِلْكَأْسِ. وَقِيلَ: لِلْخَمْرِ." لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ" قَالَ الْحَسَنُ: خَمْرُ الْجَنَّةِ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ." لَذَّةٍ" "[٤٠] وعلل ابن عاشور ما قال به المفسرون بقوله : " وبَيْضاءَ صِفَةٌ لِـــ «كَأْسٍ» . وَإِذْ قَدْ أُرِيدَ بِالْكَأْسِ الْخَمْرُ الَّذِي فِيهَا كَانَ وَصْفُ بَيْضاءَ لِلْخَمْرِ. وَإِنَّمَا جَرَى تَأْنِيثُ الْوَصْفِ تَبَعًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْخَمْرِ بِكَلِمَةِ كَأْسٍ، عَلَى أَنَّ اسْمَ الْخَمْرِ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَتَأْنِيثُهَا أَكْثَرُ. رَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لَوْنُهَا مُشْرِقٌ حَسَنٌ فَهِيَ لَا كَخَمْرِ الدُّنْيَا فِي مَنْظَرِهَا الرَّدِيءِ مِنْ

حُمْرَةٍ أَوْ سَوَادٍ."[٤١] فهو يجعل المتلقي يدرك لما لهذا الشراب من طعم لم يسبق وأن طعمه " أي صافية في بياضها لذيذة للشاربين فاللذة مصدر أريد به الوصف مبالغة أو هي مؤنث لذ بمعنى لذيذ "[٤٢] كلمة (بيضاء) اعتبرها بعض المفسّرين صفة لكؤوس الشراب ، فيما اعتبرها البعض الآخر صفة للشراب الطهور، "ويعني أنّ ذلك الشراب ليس كالأشربة الملوّنة في الدنيا، بل إنّها أشربة طاهرة، خالية من الألوان الشيطانية، وبيضاء اللون شفّافة" [٤٣] وهذا الأمر من شأنه أن يشوق المتلقي لهذا الكأس وما فيه من الشراب وما ينماز به من بياض اللون واللذة في الطعم ونجد في نفس السورة الكريمة ذكر اللون الأبيض في وصف حور الجنان وما ينعم به المؤمنون في الجنة ؛ بقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ " شُبِّهْنَ فِي بَيَاضِهِنَّ، وَأَنَّهُنَّ لَمْ يَمَسَّهُنَّ قَبْلَ أَزْوَاجِهِنَّ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ بِبَيَاضِ الْبَيْضِ الَّذِي هُوَ دَاخِلُ الْقِشْرِ، وَذَلِكَ هُوَ الْجِلْدَةُ الْمُلْبَسَةُ الْمُحَّ قَبْلَ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ أَوْ شَيْءٌ غَيْرُهَا، وَذَلِكَ لَا شَكَّ هُوَ الْمَكْنُونُ؛ فَأَمَّا الْقِشْرَةُ الْعُلْيَا فَإِنَّ الطَّائِرَ يَمَسُّهَا، وَالْأَيْدِي تُبَاشِرُهَا، وَالْعُشُّ يَلْقَاهَا. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِكُلِّ مَصُونٍ: مَكْنُونٌ مَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ لُؤْلُؤًا كَانَ أَوْ بِيضًا أَوْ مَتَاعًا" [٤٤] وقد تميز بياضهن بالصفاء فقد أردف البياض بأنه مكنون أي لا يشوبه لون آخر " وَمَعْنَى هَذَا التَّشْبِيهِ أَنَّ ظَاهِرَ الْبَيْضِ بَيَاضٌ يَشُوبُهُ قَلِيلٌ مِنَ الصُّفْرَةِ، فَإِذَا كَانَ مَكْنُونًا كَانَ مَصُونًا عَنِ الْغَبَرَةِ وَالْقَتَرَةِ، فَكَانَ هَذَا اللَّوْنُ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ. " [٤٥]

وهو ما قالت به العرب في إضفاء صفة الجمال على النساء وشبهت الحسان ببيض النَّعَام " أَيْ مَصُونٌ. قَالَ الْحَسَنُ وَابْنُ زَيْدٍ: شُبِّهْنَ بِبَيْضِ النَّعَامِ، تُكَنُّهَا النَّعَامَةُ بِالرِّيشِ مِنَ الرِّيحِ والغبار، فلونها أبيض في صفرة وهو حسن أَلْوَانِ النِّسَاءِ. .. وَالْعَرَبُ تُشَبِّهُ الْمَرْأَةَ بِالْبَيْضَةِ لِصَفَائِهَا وَبَيَاضِهَا " [٤٦] وهذه من الصفات التي عُدت من أجمل ما يضفيها العرب على النساء في الحسن والجمال ، فقد كان للون اثر في مشاعر وعواطف الناظرين فاللون الأبيض ، رمز للطهارة ، والنقاء ، والرضا ، والتفاؤل وان اختيار اللون الأبيض في الآية لما فيه من انعكاس على الحالة النفسية للسامع ؛ فقد شكل عنصراً تشويقياً لهم فكان من الأساليب الجمالية الواردة في النص القرآني للترغيب ، والتشويق في إطاعة أوامر الله والابتعاد عن نواهيه.

- الأثر الدلالي للون في الترهيب

يُعد الترهيب أحد أساليب الإقناع في النص القرآني وهو يعالج ما في النفس البشرية من شغفها في حب الأمن ، والسلامة ، وترغيبها على ترك الذنوب ، والكفر ، والتحذير من المعاصي " وهو تخويف الإنسان من البعد عن الله وإضاعة فرائضه والتفريط في حقه سبحانه وحقوق عباده ..وسوق الناس إلى الوقوف عند حدود الله بسوط الرهبة مما أعده الله لمن عصاه ...من عذاب الدنيا والآخرة "[٤٧] وهو أسلوب في الكلام جاء لغرض " التهويل والتخويف لتحذير المخاطب من القيام بعمل غير صالح "[٤٨] وهذا الأسلوب يقابل أسلوب الترغيب فهو يتضمن " كل ما يخيف ، ويرعب ، ويحذر من عدم الاستجابة للدين الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله "[٤٩]، وجاء اللون في النص ألقرآني ليكون احد أساليب الترهيب للعباد ؛ فقد جاء في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿ ال عمران :١٠٦﴾ ذهب المفسرون إلى أن " أرباب الدّعاوى تسودّ وجوههم، وأصحاب المعاني

تبيض وجوههم، وأهل الكشوفات غدا تبيضّ بالإشراق وجوههم، وأصحاب الحجاب تسودّ بالحجبة وجوههم، فتعلوها غبرة، وترهقها قترة... ومن علّق بالأغيار قلبه عند الحوائج اسودّ محيّاه بغبار الطمع "[٥٠] فان ما يقوم به الإنسان من ارتكاب المعاصي التي من شأنها ان تبعده عن رحمة الله ويبقى كظيم " فأما الذين اسودت وجوههم " فيقال لهم " أكفرتم بعد أيمانكم " فحذف لدلالة اسوداد

الوجوه على حال التوبيخ حتى كأنه ناطق به، وقد يحذف القول في مواضع كثيرة استغناء بما قبله من البيان، كقوله: " ولو ترى إذا المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا أي يقولون ربنا لدلالة تنكيس الرأس من المجرم على سؤال الاقالة."[٥١] وقيل : " ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده، واسودّت صحيفته وأظلمت، وأحاطت به الظلمة من كل جانب "[٥٢] السياق في الآية جاء لغرض التقريع والتوبيخ للكافرين " « أ كفرتم » أصله الاستفهام و المراد به هنا التقريع أي لم كفرتم و قيل المراد التقرير أي قد كفرتم « فذوقوا العذاب بما كنتم

تكفرون » أي بلفظ الذوق على التوسع و معناه انظروا ما صار إليه عاقبتكم من عذاب الله « بما كنتم تكفرون » أي بكفركم "[٥٣] ان سواد الوجه وما عليه من الغبرة ما هو الا نتيجة عن ارتدادها وإظلامها بغمم العذاب، وهو" تسويدا ينزله الله بهم على جهة التشويه والتمثيل بهم، على نحو حشرهم زرقا وهذه أقبح طلعة، إخبارا عن حال لا تخص أحدا معينا"[٥٤] وقيل إن ذلك يكون " إِذَا قَرَأَ الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ كِتَابَهُ فَرَأَى فِيهِ سَيِّئَاتِهِ اسْوَدَّ وَجْهُهُ. وَيُقَالُ: إِنَّ ذَلِكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ إِذَا رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ ابْيَضَّ وَجْهُهُ، وَإِذَا رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ اسْوَدَّ وَجْهُهُ"[٥٥] وقد حمل المعنى على ظاهره الذي يرى فيه تهويل لأمره ترهيبا للكافرين بقوله :"وَالْبَيَاضُ وَالسَّوَادُ بَيَاضٌ وَسَوَادٌ حَقِيقِيَّانِ يُوسَمُ بِهِمَا الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُمَا بَيَاضٌ وَسَوَادٌ خَاصَّانِ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ فَلَا دَاعِيَ لِصَرْفِهِ عَنْ حَقِيقَتِهِ.وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ تَفْصِيلٌ لِلْإِجْمَالِ السَّابِقِ، سُلِكَ فِيهِ طَرِيقُ النَّشْرِ الْمَعْكُوسِ، وَفِيهِ إِيجَازٌ لِأَنَّ أَصْلَ الْكَلَامِ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ فَهُمُ الْكَافِرُونَ يُقَالُ لَهُمْ أَكفرتم إِلَى آخر....وَلِأَنَّ فِي ذِكْرِ سِمَةِ أَهْلِ النَّعِيمِ، عَقِبَ وَعِيدِ بِالْعَذَابِ، حَسْرَةً عَلَيْهِمْ" [٥٦] وذهب المحدثون من المفسرين انه ورد على سبيل التمثيل لحال الكافرين " لما كان المقام مقام الكفر بالنعمة و هو نظير الخيانة مما يوجب خسة الانفعال و الخجل ذكر سبحانه من بين أنواع عذاب الآخرة ما يناسبها بحسب التمثيل و هو سواد الوجه الذي يكنى به في الدنيا عن الانفعال و الخجل و نحوهما كما يشعر أو يدل على ذلك قوله تعالى: فأما الذين اسودت وجوههم أ كفرتم بعد إيمانكم."[٥٧] وهو تصوير دقيق لحال الكافرين وهو " من المشاهد القرآنية الفائضة بالحركة والحيوية.. فنحن في مشهد هول. هول لا يتمثل في ألفاظ ولا في أوصاف. ولكن يتمثل في آدميين أحياء. في وجوه وسمات.. هذه وجوه قد أشرقت بالنور، وفاضت بالبشر، فابيضت من البشر والبشاشة، وهذه وجوه كمدت من الحزن، واغبرت من الغم، واسودت من الكآبة.."[٥٨] "

ولم يصف الذين اسودت وجوههم بالخلود في العذاب للتصريح في غير هذا الموضع بخلودهم في هذا العذاب ...وللإشعار بأن باب رحمته- سبحانه- مفتوح أمام هؤلاء الضالين فعليهم أن يثوبوا إلى رشدهم، وأن يقلعوا عن الكفر إلى الإيمان والعمل الصالح حتى ينجوا من عذاب الله وسخطه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه " [٥٩] ؛ ففي

اقتران حال الكافرين بسواد الوجه يضفي على المشهد ترهيبا وتخويفا وشدة لردع هولاء الكافرين للابتعاد عن المعاصي وهو قد ورد في قَوْلِه تَعَالَى﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ ﴿الزمر: ٦٠﴾ فهو بيان لحال " الذين تكبروا عن الإيمان بالله هذا استفهام تقرير أي فيها مثواهم و مقامهم "[٦٠] وان جزاءهم هو الحسرة ، والخوف ، والحزن الذي تظهر ملامحه على وجه الإنسان بالسواد والندامة في الآخرة عن سوء ما قاموا به ؛ فاللون الأسود وما يحمله من القتامة ذكر في هذا الموضع ليناسب الحال الذي عليه هولاء الكفار جزاء فعلهم وأعمالهم ، وقيل : " لا بل هؤلاء هم الكفار، وأمّا المدّعى الذي لم يبلغ ما يدّعيه فليس يكذب على ربّه إنما يكذب على نفسه حيث ادّعى لها أحوالا لم يذقها ولم يجدها، فأمّا غير المتحقق الذي يكذب على الله فهو الجاحد والمبتدع الذي يقول في صفة الحقّ- سبحانه- ما يتقدّس ويتعالى عنه."[٦١] وهو جزاء الكافرين وفيه بيان صورة ، وحال المتكبرين " و يوم القيامة ترى الذين كذبوا علـــــى الله وجوههم مسودة أ ليس في جهنم مثوى للمتكبرين " الكذب على الله هو القول بأن له شريكا و أن له ولدا و منه البدعة في الدين.وسواد الوجه آية الذلة و هي جزاء تكبرهم "[٦٢] ؛ فمجيء الاستفهام في ذيل الآية فيه تهديد، وتخويف للكافرين وهو من أساليب الترهيب في النص الكريم ، وقد ذهب المفسرون إلى أن المراد بالسواد على وجه الحقيقة فـــ " وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ جملة في موضع الحال، وظاهر الآية: أن لون وجوههم يتغير ويسود حقيقة، ويحتمل أن يكون في العبارة تجوز، وعبر بالسواد عن أن يراد به وجوههم وغالب همهم وظاهر كآبتهم."[٦٣] وقال بعض المفسرين إن : " الْكَلَامُ فِي كَيْفِيَّةِ السَّوَادِ الْحَاصِلِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَالْأَقْرَبُ أَنَّهُ سَوَادٌ مُخَالِفٌ لِسَائِرِ أَنْوَاعِ السَّوَادِ، وَهُوَ سَوَادٌ يَدُلُّ عَلَى الْجَهْلِ بِاللَّهِ وَالْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ، وَأَقُولُ إِنَّ الْجَهْلَ ظُلْمَةٌ، وَالظُّلْمَةُ تُتَخَيَّلُ كَأَنَّهَا سَوَادٌ فَسَوَادُ قُلُوبِهِمْ أَوْجَبَ سَوَادَ وُجُوهِهِمْ ."[٦٤] وقيل إن:" يَوْمَ الْقِيامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بأن وصفوه بما لا يجوز كاتخاذ الولد. وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ بما ينالهم من الشدة أو بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل، والجملة حال إذ الظاهر أن ترى من رؤية البصر واكتفى فيها بالضمير عن الواو. أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً مقام. لِلْمُتَكَبِّرِينَ عن الإيمان والطاعة وهو تقرير لأنهم يرون كذلك."[٦٥] وهو تهويل لحال هولاء المعاندين

" أي ثابت سوادها زائد البشاعة والمعظم في الشناعة بجعل ذلك إمارة عليهم ليعرفهم من يراهم بما كذبوا في الدنيا فإنهم لم يستحيوا من الكذب المخزي، أليس ذلك زاجراً عن مطلق الكذب فكيف بالكذب على الله الذي جهنم سجنه فكيف بالمتكبرين عليه ﴿أليس في جهنم﴾ أي التي تلقى فيها بالتجهم والعبوسة ﴿مثوى﴾ أي منزل ﴿للمتكبرين ﴾ الذي تكبروا على إتباع أمر الله."[٦٦]وقد استدل ابن عاشور على حقيقة سواد الوجوه في الآخرة بقوله :" يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اسْوِدَادُ الْوُجُوهِ حَقِيقَةً جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَامَةً لَهُمْ وَجَعَلَ بَقِيَّةَ النَّاسِ بِخِلَافِهِمْ. وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ اسْوِدَادَ الْوُجُوهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَامَةً عَلَى سُوءِ الْمَصِيرِ كَمَا جَعَلَ بَيَاضَهَا عَلَامَةً عَلَى حُسْنِ الْمَصِيرِ "[٦٧] وهو ما قال به المحدثون من المفسرين عن مصير الكافرين : " فريق مسود الوجوه من الخزي، ومن الكمد، ومن لفح الجحيم. هو فريق المتكبرين في هذه الأرض، الذين دعوا إلى الله، وظلت الدعوة قائمة حتى بعد الإسراف في المعصية، فلم يلبوا هاتف النجاة. فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه."[٦٨]. وفيه بيان لهيأة وحالة الكافرين الذين لم ينتهوا بما جاء به الرسول الكريم- ﷺوآله- في تبليغ رسالات ربه " ولما تكون عليه هيئتهم من خزي وهوان.أى: وفي يوم القيامة إذا نظرت- أيها الرسول الكريم- أو- أيها العاقل- إلى وجوه الذين كذبوا على الله، بأن أشركوا معه في العبادة آلهة أخرى، أو جعلوا له صاحبة أو ولدا..إذا نظرت إليها رأيتها مسودة مكفهرة بسبب ما أحاط بهم من عذاب، وما شاهدوه من أهوال."[٦٩] وفيه تحذير للمنافقين والكافرين .

ومن الألوان الواردة في النص الكريم لبيان ووصف حال المعاندين ما جاء في قوله تعالى :﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ ﴿عبس: ٤٠﴾ فقد أجمع المفسرون على أن (الغبرة ،والقترة) من الألوان التي تكون عليها وجوه الكفار وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴾يقول تعالى ذكره: " (وَوُجُوهٌ) وهي وجوه الكفار يومئذ عليها غبرة. ذُكر أن البهائم التي يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها، يحوّل ذلك التراب غَبَرة في وجوه أهل الكفر (تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ) يقول: يغشى تلك الوجوه قَتَرة، وهي الغَبَرة."[٧٠] وقيل :" القَتَرة كالدُّخَان."[٧١] وذهب بعضهم للترجيح في أنها تحتمل وجهين: " أحدهما: أنه غبار جعل شيناً لهم ليتميزوا به فيعرفوا. الثاني: أنه كناية عن كمد

وجوههم بالحزن حتى صارت كالغبرة. "[٧٢] وذهب المفسرون على حمل المعنى على وجه الحقيقة " أي يكون على تلك الوجوه غبار وجمعه غبرة (ترهقها) أي تغشاها (قترة) وهي ظلمة الدخان، ومنه قترة الصائد موضعه الذي يدخن فيه للتدفي به. ثم اخبر أن من كان على وجهه الغبرة التي تغشاها القترة (هم الكفرة) جمع كافر"[٧٣] وهو ما قال به الزمخشري مستدلا على ذلك بما ورد في السنة النبوية الشريفة " إن قيام الليل، لما روى في الحديث «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » ، وعن الضحاك: من آثار الوضوء. وقيل: من طول ما اغبرت في سبيل الله غَبَرَةٌ غبار يعلوها قَتَرَةٌ سواد كالدخان، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه، كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت، وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبرة، كما جمعوا الفجور إلى الكفر."[٧٤] وهو ما قال به المفسرون بالرجوع الى المعنى اللغوي للفظ فـ " الْغَبَرَةُ مَا يُصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنَ الْغُبَارِ، وَقَوْلُهُ: تَرْهَقُهَا أَيْ تُدْرِكُهَا عَنْ قُرْبٍ، كَقَوْلِكَ رَهِقْتُ الْجَبَلَ إِذَا لَحِقْتَهُ بِسُرْعَةٍ، وَالرَّهَقُ عَجَلَةُ الْهَلَاكِ، وَالْقَتَرَةُ سَوَادٌ كَالدُّخَانِ "[٧٥].وقال المفسرون المحدثون إن التفاوت في ألوانهم وأحوالهم ما هي إلا من الأحوال والهيأة التي يكون عليها المعاندين فـــ" الْغَبَرَةُ بِفَتْحَتَيْنِ الْغُبَارُ كُلُّهُ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهَا مُعَفَّرَةٌ بِالْغُبَارِ إِهَانَةً وَمِنْ أَثَرِ الْكَبَوَاتِ.وترْهَقُها تَغْلبُ عَلَيْهَا وَتَعْلُوهَا.وَالْقَتَرَةُ: بِفَتْحَتَيْنِ شِبْهُ دُخَانٍ يَغْشَى الْوَجْهَ مِنَ الْكَرْبِ وَالْغَمِّ...، وَهُوَ غَيْرُ الْغَبَرَةِ كَمَا تَقْتَضِيهِ الْآيَةُ لِئَلَّا يَكُونَ مِنَ الْإِعَادَةِ، وَهِيَ خِلَافُ الْأَصْلِ وَلَا دَاعِيَ إِلَيْهَا...

وَهَذِهِ وُجُوهُ أَهْلِ الْكُفْرِ، يُعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ سِيَاقِ هَذَا التَّنْوِيعِ "[٧٦] وهو وصف لحال هولاء الكفار الذين يلفح وجوههم السواد والغبرة في آن واحد ، وقيل إن المراد بالغبرة الفجور : " هي غبرة الفراق والذل تَرْهَقُها اى تعلوها وتغشاها قَتَرَةٌ أي سواد وظلمة كالدخان ...أي أولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله إلى سواد وجوههم الغبرة "[٧٧] وللسياق أثره في بيان المراد بالغبرة والقترة وأنهما من الألوان التي تغشى وجوه الكفار في الآخرة ، وهو ما يثير شعور أو أحساس بالخوف ، والرعب من المصير الذي يواجه الكافر والمنافق " فأما هذه فتعلوها غبرة الحزن والحسرة، ويغشاها سواد الذل والانقباض. وقد عرفت ما قدمت، فاستيقنت ما ينتظرها من جزاء.. «أُولئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ» .. الذين لا

يؤمنون بالله وبرسالاته، والذين خرجوا عن حدوده وانتهكوا حرماته. "[٧٨] وفيه تهويل وتخويف لحال هولاء الكفرة الذين يظهر سيماء الهم والغم على وجوههم " لأن الكلام مسوق للإنذار و الاعتناء بشأن أهل الشقاء."[٧٩] وهو ما يكشف عن مصيرهم وعقابهم ؛ فنجد أن للون دور في إثارة الرعب ، والترهيب ، والتخويف في الآيات الواردة في أهل النار ، وما يناله هولاء الكفار ، والمعاندين من جزاء حيال عصيانهم ، وكفرهم من سواد الوجوه ، والغبرة التي تكون في وجوههم وقد ورد في اغلب هذه الآيات مقابلة في بناء الصورة فورد ذكر البياض والنعيم لأهل الجنة للترغيب وذكر السواد والقترة لأهل النار للترهيب .

الخاتمة

-إن اللون ذو تأثير فعال في النفس الإنسانية وقد لفت انتباه الإنسان قديما للطبيعة وما فيها وهو من وسائل التأثير والإقناع، وعنصر يسهم في تشكيل الفاعلية الدلالية من الإيحاء، والرمز، والإشارة .

-إن للألوان لغة يفهمها الإنسان ويتفاعل معها وقد شُغل بها منذ بدأ الخليقة ولها دلالة خاصة في حياته من الناحية الابستمولوجية ، والسايكولوجية فهو يعبر بها عن أفراحه ، وأحزانه ، وأوهامه وما ارتبط بمعتقداته وهو ينسجم مع مدلولات هذه الألوان كجزء من نشاطاته الحيوية وسلوكه الإنساني .

-شكل اللون وجه من وجوه الإعجاز القرآني في ما تضمنه من دلالة و انعكاس ايجابي في الذات الإنسانية لبعض الألوان فـ(اللون الأبيض) يدل على الجمال، والصفاء، والنقاء، والطهارة و (اللون الأخضر) النمو، والخصب، والأمل وما تثيره بعض الألوان من البهجة او الفرح والتفاؤل فكانت من وسائل الترغيب، وتحبيب النفس في ثواب المؤمنين من أهل الجنة؛ وهو من عناصر الترهيب، والتخويف.فبناء الصورة يحمل كل ما يثير الرهبة، والخوف فضلا عن التشاؤم، و القتوم ، والغبرة التي تلوح بوجوههم لما اجتمع فيها من عناصر كان للقبح اللوني وجهه الظاهر فيها

- اللون في عالم الغيب له وظيفة فاعلة في التأثير على المتلقي للنص وهي انعكاس لما كان يحس ويشعر به الإنسان في الحياة الدنيا لذلك جاء في بعض الآيات الكريمة ذكر

للانفعال الإنساني اتجاه هذه الألوان وما يعكسه من انفعال ايجابي أو سلبي كوسيلة للترهيب أو الترغيب لبيان حكمته سبحانه وتعالى في خلق الأشياء متنوعة ، ومختلفة وبأشكال متعددة وجعل للإنسان الحرية الكاملة في اختياره للديمومة في ما يحب ويتجنب ما يبغض ويكره

هوامش البحث

١ -الفهم والنص ،بومدين بوزيد ،١٣.
٢ -التعريفات ،الجرجاني ،١٦٩/١.
٣ -المصدر نفسه ،٨٠/١.
٤ الكليات ،الكفوي ،٨٦٠.
٥ - كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،التهانوي ،٢/ ١٦١٧.
٦ -ينظر: الفهم والنص ،بومدين بو زيد ،١٦.
٧ -الهيرمنيوطيقيا الكتاب والسنة ،محمد شبستري ،١١.
٨ -الخطاب القرآني ،د.سليمان عشراتي ، ١٠.
٩ -الألسنية ،نسيم عون ،٩٥.
١٠ - ينظر :اللسان ،مادة (غيب).
١١ - اللسان ، مادة (غيب).
١٢ -العين ،الخليل ، مادة (لون) ،٤ /١١١.
١٣ -الصحاح ،الجوهري ،مادة (لون)
١٤ -تاج العروس ،الزبيدي ،مادة (لون).
١٥ - الفن و الأدب ، لويس هورتيك،٢٠.
١٦ -نظرية اللون ، يحيى حمودة ،٧.
١٧ -الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها ،نوري حمودي القيسي ،مجلة الأقلام ،مجلد ١١،لسنة ١٩٦٩م، ٧٦.
١٨ -الوفود في العهد المكي ،احمد الاسطل ،٢٥٢.
١٩ -الابلاغية في النص القرآني ،د.زينب جاسم محمد ، ٣٤ .

٢٠ -المنتقى في كتاب الترغيب والترهيب ، للمنذري ،١١/١.
٢١ - اللغة واللون ،أحمد مختار عمر ، ٧٩.
٢٢ -التبيان ،الطوسي ،٣٨/٧.
٢٣ -التحرير والتنوير، ابن عاشور ،٣١١/١٥.
٢٤-الوسيط، سيد طنطاوي ،١٤١٣/٢.
٢٥ -اللون في الشعر العربي القديم ،زينب عبد العزيز العمري ،٢٠٠.
٢٦ -تفسير الاصفي ،الفيض الكاشاني ، ١٢/٣.
٢٧ -التشكيل اللوني ،ادريس فرج الله ،٣٨.
٢٨ -دلالة اللون في الفن العربي ،عياض عبد الرحمن الدوري ،١٩.
٢٩ - ينظر :جمالية التشكيل اللوني في القران الكريم ،د.ابتسام مرهون الصفار ،٢٦٣.
٣٠ - النكت والعيون ، الماتريدي،٢٦٩/١.
٣١ -التبيان ،الطوسي ،٥٥٢/٢.
٣٢ -الكشاف ،الزمخشري ،٣٩٨/١.
٣٣ مجمع البيان، الطبرسي ، ٣٢١/٢.
٣٤ -المحرر الوجيز،ابن عطية ،١ /٤٨٧.
٣٥ -تفسير القرطبي، القرطبي ،١٦٦/٤.
٣٦ - التحرير والتنوير، ابن عاشور ،٤٤/٤.
٣٧-ظلال القرآن ،سيد قطب ،٤٤٥/١، ينظر:الوسيط ،طنطاوي ،٢٠٩/٢.
٣٨ -تفسير الأمثل ،الشيرازي ،٦٤١/٢.
٣٩ - النكت والعيون ،الماوردي ،٤٦/٥.
٤٠ -تفسير القرطبي ،القرطبي ،٧٧/١٥. ينظر : الكشاف ،الزمخشري،٤١/٤.
٤١ -التحرير والتنوير، ابن عاشور ،١١٠/٢٣.
٤٢ - الميزان ، الطباطبائي ،٦٩/١٧.
٤٣ -الأمثل ، الشيرازي ،٣١٧/١٤.
٤٤ -جامع البيان ،الطبري ،٥٤١/١٩. ينظر:الكشاف،الزمخشري ،٤٣/٤.
٤٥ -التفسير الكبير ، الرازي ،٣/٢٦ ٣٣.

٤٦ -تفسير القرطبي ،القرطبي ،٨٠/١٥. ينظر :التحرير والتنوير ،ابن عاشور ،١١٤/٢٣-١١٥.ينظر:الميزان ، الطباطبائي ،٦٩/١٧.وينظر : الأمثل، الشيرازي ،٣١٩/١٤.
٤٧ - المنتقى في كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ،١١/١.
٤٨- الابلاغية في النص القرآني ،د.زينب جاسم محمد، ٣٤ .
٤٩ -الوفود في العهد المكي ، علي رضوان الاسطل،٢٥٢.
٥٠ --النكت والعيون ، الماتريدي ،٢٦٩/١.
٥١ -التبيان ،الطوسي ،٥٥١/٢.
٥٢ -الكشاف ،الزمخشري ،٣٩٨/١.
٥٣ -مجمع البيان،الطبرسي ، ٣٢١/٢.
٥٤ -المحرر الوجيز ،ابن عطية ،٤٨٧/١.
٥٥-تفسير القرطبي ، القرطبي ،١٦٦/٤.
٥٦ - التحرير والتنوير،ابن عاشور ،٤٤/٤.
٥٧ -تفسير الميزان،الطباطبائي ،٢٠٤/٣.
٥٨ - في ظلال القرآن ،سيد قطب ،٤٤٥/١.
٥٩ -الوسيط ، طنطاوي ،٢٠٩/٢.
٦٠ -مجمع البيان،الطبرسي ،٣٦٤/٨.
٦١ -لطائف الإشارات ، القشيري ،٢٨١/٣.
٦٢ -تفسير الميزان ، الطباطبائي ،١٤٥/١٧.
٦٣ -المحرر الوجيز،ابن عطية ،٥٣٩/٤. ينظر:تفسير القرطبي ،القرطبي ،٢٧٣/١٥.
٦٤ -التفسير الكبير،الرازي ،٤٦٩/٢٧.
٦٥ -تفسير البيضاوي ، البيضاوي ،٤٧/٥.
٦٦ -نظم الدرر،البقاعي ،٥٤٢/١٦.
٦٧ التحرير والتنوير،ابن عاشور ،٤٩/٢٤.
٦٨ -في ظلال القرآن، سيد قطب ،٣٠٥٩/٥.
٦٩- الوسيط، طنطاوي ،٢٤٢/١٢.
٧٠ -جامع البيان ، الطبري ،٢٣٣/٢٤.
٧١ -معاني القران ،الزجاج،٣٤٣/٢.
٧٢ -النكت والعيون ، الما وردي،٢٠٩/٦.
٧٣ -التبيان ،الطوسي ،٢٦٩/١٠.
٧٤ -الكشاف ،الزمخشري ،٧٠٥/٤.ينظر : مجمع البيان ،الطبرسي،٢٤٣/١٠.
٧٥ -التفسير الكبير،الرازي ،٦٢/٣١.ينظر : تفسير البيضاوي ، البيضاوي ،٢٨٨/٥.

٧٦ -التحرير والتنوير،ابن عاشور ،١٣٨/٣٠.
٧٧ -روح البيان،اسماعيل حقي ،٣٤٢/١٠.
٧٨ -في ظلال القرآن،سيد قطب ،٣٨٣٤/٦.
٧٩ -تفسير الميزان، الطباطبائي ،١١٦/٢٠.

قائمة المصادر والمراجع

-القران الكريم
-الاصفي في تفسير القرآن ، محمد محسن الفيض الكاشاني(تـــــ١٠٩١هـــ)،تحـــ: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ،قم – مكتب الإعلام الإسلامي.
-الالسنية -محاضرات في علم الدلالة- ، د. نسيم عون ، ط١، دار الفارابي ، بيروت - لبنان ،٢٠٠٥م
-الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ،ناصر مكارم الشيرازي ،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت –لبنان ،٢٠٠٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين مرتضى الزبيدي (تـــ: ١٢٠٥هـ)، تحـ، عبد الستار احمد فراج، وعبد الكريم الغرباوي، وآخرون، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٨م.
- تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٢هـ)، تحـ: احمد عبد الغفور عطار- مطابع دار العربي بمصر- ١٣٧٧هـ.
-التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (تـــ٤٦٠هـ) ، تحـ :أحمد شوقي الأمين وأحمد حبيب قصير،المطبعة العلمية ومطبعة النعمان ،النجف ١٩٥٧ - ١٩٦٥ .
- التشكيل اللوني للطباعة ،ادريس فرج الله ، المكتب الجامعي الحديث ،الاسكندرية –مصر .
- التعريفات، الشريف الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (تـ٨١٦هـ) ، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، ١٩٨٨م.
-تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ، ناصر الدين ابو سعيد الشيرازي البيضاوي تـــ٦٨٥هـ، تـحـ: محمد عبد الرحمن المرعشلي،ط١ ، دار إحياء التراث ، ١٤١٨هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ١٩٧٣م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، ابوعبدالله محمد بن عمر بن الحسن التيمي الملقب فخر الدين الرازي (تـ ٦٠٦هـ) ،ط٣،دار إحياء التراث،بيروت –لبنان١٤٢٠هـ.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (تـ٣٧٠هـ) تحـ:احمد عبد العليم البردوني وآخرين، مراجعة علي محمد البجاوي وآخرين،الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤م.

- جامع البيان من تأويل القران ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(تـــ ٣١٠هـ)، تحـ: محمد محمود شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه: احمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر .
- الجامع لأحكام القرآن المسمى (تفسير القرطبي) ، لأبي عبـــد الله محمد بن أحمد الأنصاري القـرطبي (ت٦٧١هـ)، تحـ: أحمـد البردوني وإبـراهيم أطفيش ،ط٢،دار الكتـب المصـرية ،القاهرة ،١٩٦٤م.
- جمالية التشكيل اللوني في القران الكريم ،أ.د.ابتسام مرهون الصفار ، ط١،عالم الكتب الحديث ،الأردن ،٢٠١٠م.
- الخطاب القرآني – مقاربة توصيفية لجمالية السرد الاعجازي ،سليمان عشراتي ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ١٩٨٩م.
- دلالة اللون في الفن العربي ،عياض عبد الرحمن الدوري ،دارالشؤون الثقافية ،بغداد – العراق .
- روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي أبو الفداء (تـــ١١٢٧هـ) ،دار الفكر ،بيروت-لبنان.
- الفهم والنص – دراسة في المنهج التأويلي عند شليرماخر وديلتاي- ، بومدين بوزيد، ط١،الدار العربية للعلوم والنشر ،منشورات الاختلاف ، ٢٠٠٨م
- الفن والأدب، لويس هورتيك، ترجمة الدكتور بدر الدين قاسم الرفاعي، مراجعة الدكتور عمر شن شيرو، مديرية التأليف والترجمة، دمشق، ١٩٦٥م.
- في ظلال القران، سيد قطب ،ط٧، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ١٩٧١م.
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (تـــ١٧٥هـ)، تحـ : الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الحرية- بغداد، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ،محمد علي التهانوي ،تـ: د.علي دحروج ،مراجعة :د.رفيق العجم ،ط١ ،مكتبة لبنان ،بيروت –لبنان ،١٩٩٦م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، جار الله عمر بن محمود الزمخشري (تـــ ٥٣٨هـ)، دار المعرفة، بيروت .
-الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت١٠٩٤هـ)،تحـ : عدنان درويش - محمد المصري ،مؤسسة الرسالة ،بيروت –لبنان .
- لسان العرب، جمال الدين مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، ط٦،دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.
- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)،عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري تـــ٤٦٥هـ،تحـ: ابراهيم البسيوني ، ط٣، الهيئة المصرية للكتاب ،مصر.
- اللغة واللون ،احمد مختار عمر ، ط٢، عالم الكتب للنشر والتوزيع ،القاهرة –مصر ،١٩٩٧م.

- اللون في الشعر العربي القديم، د. زينب عبد العزيز العمري، الانجلو المصرية- القاهرة، ١٩٨٩م.
- مجمع البيان في تفسير القران ،الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (تـــ٥٤٨هـ)، عني بطبعه احمد عارف الزين، مطبعة العرفان، صيدا-لبنان ، ١٣٣٣هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو محمد بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (تـــ ٥٤٢هـ) ،تحـ: عبد السلام عبد الشافي ،ط١، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢٢هـــ.
- معاني القرآن وإعرابه ، أبو إسحاق الزجاج (تـــ٣١١هـ)تحـ: عبد الجليل عبده شلبي ، ط١، عالم الكتب – بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- المنتقى من كتاب الترغيب والترهيب للمنذري ،يوسف القرضاوي ، ط٣، دار التوزيع والنشر الإسلامية،٢٠٠١م.
-الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي ، ط٢،مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ،بيروت – لبنان ،٢٠٠٢م
-النكت والعيون ، المسمى (تفسير الماوردي) ،أبو الحسن علي بن الشهير بالماوردي(ت٤٥٠هـ)، تحـ: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية ،بيروت – لبنان.
- نظرية اللون ، الدكتور يحيى حمودة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور،ابو الحسن إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي ، مصر ،١٩٥٠م.
-الهرمنيوطيقيا الكتاب والسنة ،محمد مجتهد شبستري،تـ: حيدر نجف ،مراجعة : عبد الجبار الرفاعي ،ط١، دارالتنوير للطباعة والنشر ، بغداد – العراق ،٢٠١٣م .
-الوسيط في تفسير القران الكريم ، السيد طنطاوي(تـــــــ١٣٥٨هـ)، ط٢، مصر ، ١٩٧٤م.
- الوفود في العهد المكي وأثرها الإعلامي ،علي رضوان احمد الاسطل، ط١، مكتبة المنار، الأردن- الزرقاء، ١٩٨٤م.

الدوريات

-الابلاغية في الخطاب القرآني –سورة (ص) انموذجاً،د.زينب جاسم محمد ، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية ،جامعة الكوفة ،المجلد الأول ، ٢٠١٧م.
- الألوان وإحساس الشاعر الجاهلي بها، نوري حمودي القيسي، مجلة الأقلام مج ١١،السنة الخامسة ١٩٦٩م.